الأشياء بالباء " [1] ، ونجده أيضا يربط علاقة الواو بالهاء في أنهما يشكلان الهوية والهوية إشارة للغيب وإشارة إلى الله مصداقا لقوله تعالى : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)[2] وقوله : (هُوَ اللهُ الذي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ)[3] وكذلك قوله :(وَهُوَ اللهُ فِي السَّمواتِ وَفِي الأَرْضِ)[4] فالواو في الهوية لحفظ الغيب وهذا ما قاله ابن عربي : " ولها أي الواو حفظ نفسها خاصة ولذلك وجد في الهوية ، والهوية حفظ الغيب فلا يظهر أبدا فهو قوي من هذا الوجه من جميع الحروف إلا الهاء فإن الهاء تحفظ نفسها وغيرها ، والواو يحفظ نفسه خاصة ، والهاء والواو عين الهو التي يقال لها الهوية "[5] كما أن الهاء أيضا تحفظ حرف الكاف في كلمة " كن" ، وهنا يبيّن ابن عربي علاقة الذات الإلهية بالكون ، فهذه الحروف تشكل رموزا باطنية ترتبط بالذات الإلهية باعتبار أن القرآن الكريم مشكل من كلمات يعود مصدرها إلى الله ، والغاية " من الرمز ومن الحرف ووجوده تبقى أكبرية تصب كلها في خانة مبحث الإلهيات "[6] .

وعن رمزية حرف النون وعلاقته بالأمر الإلهي " كن" فهو يشكل عنده دائرة كاملة نصفها يمثل العالم الحسي والآخر يمثل العالم الروحاني ويربطها بالآية القرآنية (نون وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) [7] فالقلم يفصل النون الجسمانية عن النون الروحانية ، أما حرف الميم فهو " للإنسان الذي وجد لأجله العالم ، والذي ظهر على صورة الإله مجسدا لصفاته وأسمائه والقادر ، بل المطالب بإدراك صفات وأسماء الله " [8] إنه الإنسان الكامل سيد الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن رمزية هذا الحرف وضعه في البسملة ، فالميم التي في "بسم" فهي حسب تأويل ابن عربي لآدم عليه السلام لأنه تلقى الاسماء من الله عز وجل ، ومنه يستمد عالم الأجسام وجوده ، وأما الميم التي في " الرحيم" فهي ترمز إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، يقول ابن عربي : "وميم الرحيم لمحمد صلى الله عليه وسلم لأنه صاحب الرحمة ..رحمة الإيمان ورحمة الإيجاد ، فبهذا المد الموجود فيه كان استمداد عالم الأرواح فظهر مقامه في عالم الأجسام آخرا ومقام آدم أولا ، فقيل بسم الله الرحمن الرحيم بالجسمانية ، الآخر بالروحانية "[9]

ويستدل ابن عربي على ذلك بالنصوص القرآنية الآتية : (هو الَّذي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ)[10] (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ)[11] (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ)[1]

---

[1]- خميسي ساعد ، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية، المرجع نفسه ، ص169.
[2]-سورة الصمد ، الآية : 01.
[3]-سورة الحشر ، الآية: 23.
[4]-سورة الأنعام ، الآية : 03.
[5]-ابن عربي محيي الدين، كتاب الميم والواو والنون ، رسائل ابن عربي ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط2، 2010، ص88.
[6]-خميسي ساعد ، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية، المرجع السابق ، ص180.
[7]-سورة القلم ، الآية : 01.
[8]-خميسي ساعد ، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية ، المرجع نفسه ، ص182.
[9]-ابن عربي ، كتاب الميم والواو والنون ، المصدر السابق ، ص91.
[10]-سورة الجمعة ، الآية : 02.
[11]-سورة التوبة ، الآية : 128.

وهكذا جعل الشيخ الأكبر الميم رمزا لسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا التحليل يعود بطبيعة الحال إلى فلسفته الإشراقية التي جمعت بين عالم الجسماني والعالم الروحاني ، فمن وحدة الوجود إلى وحدة الأديان إلى الحقيقة المحمدية إلى الإنسان الكامل ، كلها سلسلة متكاملة في فلسفته .

لقد حاول الباحث المفكر ساعد خميسي في طرحه هذا ربط التأويل بالرمز لأن الرمزية الأكبرية كما يقول " تفضي بالضرورة إلى التأويل والتأويل لا ينتهي عند فك الرمز فقد يفضي إلى رمز جديد ..ولا يقف عند العودة أو الذهاب إلى المعنى الأول أو المعنى الباطني للشئ ، فالتأويل عنده يشمل فنون الشرح والتفسير والتعبير والإيماء والإشارة والإيحاء وإيصال المعنى لأذهان بأي شكل من الأشكال " [2] ، أي أن الرمز الصوفي لم يوجد إلا ليشرح وليفسر وهذا هو الإبداع في حد ذاته، فما هو " إخفاء عن العامة أو الفقهاء فحسب بقدر ما يعني إمكانية فسح المجال لمعان جديدة غير التي وضعت لها أول مرة ، ممّا يعني إمكان الإبداع المستمر ، والتجديد الدائم "[3] ، وكلما تعددت التأويلات كلما كان المعنى أوسع وأبلغ ، لأن الإبداع هو التجديد في مسائل طرحت أو تطرح معه .

ونجد أيضا المفكر ساعد خميسي قد ربط التأويل بالكلام ، باعتبار أن المسائل الرمزية التي يتحدث عنها الصوفية لها بعد عقائدي كلامي فهم يزعمون " أنهم المالكون لناصيته والواصلون به إلى عين الحقيقة ، وعين الحقيقة هي معرفة الأحكام الفقهية الصحيحة البعيدة عن مرامي ومدارك الفقهاء ، أهل الظاهر " [4] ، ونجد ابن عربي يتفق مع الغزالي في تعريفه لعلم الكلام أنه علم أصول الدين والفقه الأكبر وأن ظهوره كان من أجل الدفاع عن العقيدة والرد على المبتدعة ، إلا أنه يختلف مع علماء الكلام الذين اعتمدوا في تأويلاتهم على المنهج العقلي وأعطوا أسبقية العقل على النقل ، إذ هو يرى أن أسلوب الإقناع يكون من النص وقدسيته ، والإنسان المسلم لا يحتاج إلى علماء الكلام بل يكفيه أن يدرك المسائل العقدية انطلاقا من النصوص القرآنية ، ومن بين المسائل الكلامية التي خصت بها النظرية الأكبرية هي مسألة الأسماء والصفات الإلهية ، إذ نجد في اسم الجلالة الله يتخذ رمزا عند محيي الدين ابن عربي من حيث تركيبه اللغوي : اللفظي والمرقون ، وما مدى علاقة هذا الاسم بباقي الأسماء الإلهية الحسنى وصفاته ، واسم الله متميز عن كل الأوصاف والصفات تنفرد به الذات الإلهية ولهذا لا اشتقاق له ، إذ هو مصدر لكل اسم يقول ابن عربي : " إن الله للأسماء بمنزلة الذات لما تحمله من الصفات فكل اسم فيه يندرج ومنه يخرج وإليه يعرج وهو عند المحققين للتعلق لا للتخلق وحقيقته أنه دليل الذات لا غير " [5] ، وقد توصل ساعد خميسي في هذه المسألة إلى أن ابن عربي يميّز بين الأسماء وأسماء الأسماء من حيث علاقة الأسماء الإلهية باسم الجلالة " كأنها برزخية بينها وبين الأسماء التي ندركها في عالم الموجودات متمثلة ، فما

---

[1]-سورة الأحزاب ، الآية : 06.
[2]- خميسي ساعد ، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية ، المرجع السابق ، ص16.
[3]- خميسي ساعد ، ابن العربي المسافر العائد ، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ، الجزائر-بيروت، ط1، 2010، ص254.
[4]-المرجع نفسه ، ص69.
[5]-ابن عربي محيي الدين ، كتاب الجلالة ، رسائل ابن عربي ، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2، 2010، ص46.

ندركه من صفة العدل الإلهي في الحاكم العادل وصفة القدرة في كل المقدورات إنما هما اسمان إلهيان العادل والقادر – لهما في عالم الألوهية اسمان آخران هما العادل والقادر لكن مع تنزيه تامّ لا تمثّل فيه ولا شيئية وعلى هذا المستوى من التجريد نعتبرهما يدلان على حقيقة معنى اسم الاسم "[1] ، وهنا نجد الفرق بين ما طرحه علماء الكلام وما قاله ابن عربي باعتبار أن هذا الأخير يعتمد على منهج الكشف الباطني ، وما وصلت إليه النظرية الأكبرية أنه يمكن للعبد العارف أن يتخلق ويتحقق بجميع الصفات ماعدا اسم الجلالة فهو للتعلق فقط.

ومن بين النصوص القرآنية التي تطرق إليها الباحث وكيفية ممارسة فعل التأويل عليها من طرف ابن عربي قوله تعالى : (إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)[2] ومسألة خلع النعلين أثارت جدالا كبيرا بين العلماء والفقهاء والكلاميين حول فكرة الاستواء والرؤية وغيرهما ، وقد ربطها ابن عربي بالحديث النبوي الذي يحث على لباس النعلين وعلى هذه الآية التي أُمِر فيها موسى عليه السلام بخلعه ، فبيّن مقصودهما ظاهرا وباطنا ، وجاء تأويله الباطني أن " النعليين لا يلبسهما القاعد بل الماشي أو المسافر ومادام الشرع قد أمر بلبسهما في الصلاة ، فهذا يعني أن المصلي ماش ، مسافر ، وسفره ترحال بين منازل الآيات القرآنية وبين منازل القراءة والسمع "[3] وينطلق ابن عربي من أن لباس النعليين زينة لقوله تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ)[4] ، وكما أن المسافر يلاقي الخطر والصعاب في سفره ، فكذلك المصلي يتصعب عليه فهم الآيات ، فيضعها في دائرة التشبيه والتنزيه ، وهذه بمثابة الأشواك التي قد تلحق الأذى في مسالك المصلي المسافر بقدميه إن لم يكن يلبس النعلين . فكل مسألة إلا ولها تأويل لدى الحاتمي حتى القدمان رمز لظاهر المصلي وباطنه ، ويبقى مفهوم خلع النعلين عنده في نهاية المطاف هو "عدم الوقوف كثيرا أو عدم المكوث طولا عند الظاهر ، فوجود الظاهر والباطن يعني ضرورة الوقوف عندهما كلا بالقدر الذي يستحقه "[5] ، وهكذا أي مسألة تخص النص القرآني أو ما يتعلق بالعبادات أو الوجود إلا ولها رمز باطني يجب أن يؤول ، وهنا يكمن جوهر الخطاب الصوفي في أنه يفتح أمام المتمعن فيه كل أنواع القراءات بأدواتها المختلفة . و هكذا يبقى مفهوم التأويل بهذه الطريقة التي قدمها المفكر ساعد خميسي والتي ربطها بعلم الحروف هو بمثابة تجاوز لأمثولة تقليدية لما عهدناه مع بعض النصوص ، لقد جعل " التأويل يتعدى المفهوم الكلاسيكي الذي لم يعرف علم الحروف بالكثافة الميتافيزيقية والعرفانية ، التي برر بها ابن عربي قراءاته للمتن الديني ، وسجاله مع المذاهب الكلامية أو الصوفية "[6] ، وتبقى هذه الدراسة المتميزة كمجال لفتح تساؤلات وأبحاث كثيرة حول هذا العلم الرباني الذي يعد بمثابة إرث في التراث العربي الإسلامي.

---

[1]-خميسي ساعد ، ابن عربي المسافر العائد ، المرجع السابق ، ص105.
[2]-سورة طه ، الآية : 12.
[3]-خميسي ساعد ،ابن عربي المسافر العائد ، المرجع نفسه ، ص163.
[4]-سورة الأعراف ، الآية : 31.
[5]-خميسي ساعد ، ابن عربي المسافر العائد ، المرجع نفسه ، ص165.
[6]-شوقي الزين محمد ، الصورة واللغز " التأويل الصوفي للقرآن عند محيي الدين بن عربي " ، مؤمنون بلا حدود، المغرب، ط1، 2016،ص239.

قائمة المصادر والمراجع :

-القرآن الكريم .

- ابن عربي محيي الدين، التجليات ، تحقيق: عبد الرحيم مارديني ، دار المحبة ، دمشق ، ط1، 2003.

- ابن عربي محيي الدين ، الفتوحات المكية ، جزء1، تحقيق: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ط2، 2006.

- ابن عربي محيي الدين ، كتاب الباء، المطبعة المنيرية ، القاهرة ، ط1، 1954.

- ابن عربي محيي الدين، رسائل ابن عربي (كتاب الشاهد ، كتاب الميم والنون والواو ، كتاب الجلالة) تحقيق: محمد عبد الكريم النمري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2، 2010.

- ابن رشد ، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال ، تحقيق: محمد عمارة ، دار السلام ، القاهرة ط1.

_ آمنة بلعلى ، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة ،منشورات الاختلاف الجزائر،ط1، 2011.

-السيوطي جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، جزء7، تحقيق:مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1 .

-الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، جزء2، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم مكتبة التراث ، القاهرة .

-أوملیل علي ، في التراث والتجاور، المركز الثقافي العربي ، المغرب، ط1، 1999.

- خميسي ساعد، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية ، أطروحة دكتوراه في الفلسفة، إشراف الأستاذ :عبد الرحمن التليلي، جامعة قسنطينة، 2005.

-خميسي ساعد ، ابن عربي المسافر العائد، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ، الجزائر-بيروت ط1، 2010.

- الزوبي ممدوح، معجم الصوفية ،دار الجيل ، بيروت ، ط1، 2004.

القراءة العربية المعاصرة للتأويل الصوفي للقرآن الكريم عند محيي الدين بن عربي

ساعد خميسي أنموذجا

د.خديجة بلخير

ملخص :

لقد تطرق المفكر الجزائري ساعد خميسي إلى قراءة تأويلية معاصرة للقرآن الكريم عند محيي الدين بن عربي ، مركزا في ذلك على تفكيك اللغة الرمزية التي احتوتها حروف ومعاني النص الديني ،فعلم الحروف لدى ابن عربي له دلالة عرفانية ذات صلة بالعلم الإلهي وبالوجود أيضا ، والعالم بأسره ملئ بالرموز ، وكل ما فيه يجب تأويله من جماد ونبات وحيوان ، حتى الإنسان الذي انطوى فيه العالم الأكبر .

الكلمات المفتاحية : التأويل ، الرمز ، التصوف ، الحروف ، الوجود.

Abstract:

The Algerian thinker Saïd khemessi speaks about contemporary interpretative reading of the Quran by Mohieddin ibn Arabi.Focusing on the deconstracting of the symbolic language which contained by the letters and meanings of the religious text.Also, the science of the letters of Ibn Arabi,has a knowledge bale significance related to theology then the existance too. Furthermore, the whole world is full of symbols, and all the ins have to be interpreted,from things, plant and animal,even the man who included the greater world.

Key words : Interpretation, symbol, mysticism, letters, existence

تمهيد :

يعد التأويل من المفاهيم الحداثية في الفكر الفلسفي المعاصر ، حيث ارتبط هذا المصطلح بالفكر الفلسفي الغربي مع هيدجر و ريكور وغيرهما ، وحظى أيضا بوجوده القوي ضمن نصوص التراث الإسلامي فتطرق إليه العلماء والفقهاء والأصوليين والمتكلمين والمتصوفين ويعتبر الصوفية أكثر تعمقا من الأخريين باعتبارهم أرباب قلوب ، إذ التصوف في حد ذاته يقوم على جدلية الظاهر والباطن التي تفتح بدورها تأويلات عدة على مستوى اللغة والمعنى والوجود ، ولم يقتصر التأويل على النصوص القرآنية فقط بل شمل أيضا أشعارهم الذوقية وكتاباتهم النثرية المفعمة باللغة الرمزية ، ويعد محيي الدين بن عربي من أكبر الصوفية الذي حظيّ باهتمام الباحثين القدماء والمعاصرين نظرا لما قدمه من إنتاج فكري عرفاني غزير ، إذ نجد له تأويلا يغاير تماما ما آل إليه علماء الكلام والأصوليين وغيرهم ، فكيف قرأ إذن هذا الشيخ الأكبر القرآن الكريم ؟ وكيف كانت قراءة المفكر ساعد خميسي لفكرة التأويل عند محيي الدين بن عربي ؟

التأويل في الفكر الصوفي :

التصوف هو تجربة ذوقية يتخذ طابعا أخلاقيا لما يمارسه من مقامات وأحوال تعد بمثابة سفر روحي وهذه الحياة الروحية مليئة بالألغاز والرموز سواء عن طريق اللغة أو طريق التجربة في حد ذاتها ، ممّا يجعل الباحث يلجأ إلى التأويل كوسيلة لتفكيك تلك المعاني المبهمة ، وقد يتعرض هو الآخر إلى صعوبات باعتبار أن التأويل فعل عقليّ ، وهو يتعامل مع تجربة تعتمد على الذوق والحدس ، فيجد نفسه يتجاوز تلك المعضلة التي تفصل بين العقل والنقل ، فيكون مضطرا إلى الاعتماد على آليات وأدوات استخدمها الصوفية في قراءة وفهم لغتهم الرمزية ، وهذه المسألة بالذات تستدعي بنا الوقوف على مفهوميّ " التأويل والتفسير "والتفريق بينهما ، خصوصا وأن النصوص الدينية في التراث الإسلامي هي نصوص تفسيرية بالدرجة الأولى إذ التفسير لا يعدو كونه " علم يبحث في القرآن من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية " [1] والحاجة إليه كما ذكر السيوطي " أن الصحابة رضوان الله عليهم كانت تستوقفهم بعض الكلمات والتراكيب الواردة في القرآن الكريم ولا يقدرون على معانيها إلا بعد البحث والنظر ، وإن لم يستطيعوا يلجئون إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام حتى يحدد لهم معناها ومغزاها " [2] ، أماّ التأويل فإننا نجد هذا المصطلح قد ذكر في القرآن الكريم في سور سبع نذكر منها قوله تعالى : (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ**)[3] وفعل التأويل هنا ارتبط بمعرفة المعنى ، وقد أرجعه بعض السلف إلى معنى التفسير كابن تيمية ، أي أن التأويل

---

[1]- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم ألقرآن، جزء2، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة التراث القاهرة ص 148.

[2]- السيوطي جلال الدين الإتقان في علوم القرآن ، جزء7، تحقيق:مركز الدراسات القرآنية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، ص 2266- 2267.

[3]-سورة آل عمران ، الآية : 07.

هو التفسير ، في حين أننا نجد في معاجم الصوفية أن هذا المصطلح مراد به " صرف الآية إلى معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذي يراد يوافق القرآن الكريم وسنة النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم ، ولذلك فهو يختلف باختلاف حال المؤول من صفاء الفهم ورتبة المعرفة "[1] ، وهذا النص يثبت درجات التأويل التي قد تختلف من مؤول إلى آخر على حسب فهمه العميق ووقوفه على المقاصد والتعمق في الكشف عن لطائف معانيه وأسرار بيانه وإعجازا ته ، وهذا لا يعرفه إلا أهل البصيرة . وما يمكن قوله في مسألتي " التفسير والتأويل " أن التأويل قد يكون أشمل من التفسير لأنه لا يقف على معنى اللغة والكلام بل يفتح للمؤول مجالات أخرى يتصرف بها في حدود العقل وما تملي عليه بصيرته .

وقد يختلف التأويل الصوفي عن التأويل الكلامي وما نهجه الفلاسفة المسلمون كابن رشد مثلا الذي " لم يعلن حقه في التأويل باسم مشروعية ما للعقل ، بل باسم الاجتهاد الذي هو حق شرعي أقرته الأمّة كلما توفرت شروطه " [2] بحيث لا يحق التأويل إلا بمن هم أعرف بمقاصد الشريعة ، ولهذا نجده يوجه نقدا للفرق الكلامية ومسائل التأويل التي خاضتها خصوصا المعتزلة منهم حينما أولوا النصوص الشرعية بما يوافق العقل " فأولت آيات كثيرة ، وأحاديث كثيرة وصرحوا بتأويلهم للجمهور ، وكذلك فعلت الأشعرية وإن كانت أقل تأويلا ، فأوقعوا الناس من قبل ذلك في شنآن وتباغض وحروب ، ومزقوا الشرع ، وفرقوا النّاس كل التفريق " [3] والسبب في ذلك أنهم اتخذوا التأويل كأداة لتأويل آيات الاستواء والصفات والعدل ، وقدموا العقل على النقل بحجة أن العقل يستطيع أن يحكم على الأفعال بالقبح والحسن ،في حين أن دور النقل يقتصر على توطيد ما حكمه العقل فقط.

وتبقى هذه الأدوات التي استخدمها علماء الكلام والفلاسفة أدوات عقلية محضة ، في حين نجد هذا التجاوز لدى صوفية الإسلام ليقابل العقل –القلب ، فالقلب هو منبع أو مصدر المعرفة ومنه يتلقى الصوفية العلم اللدنّي الذي يكون بفعل الإتحاد بالذات الإلهية ، فتلك المعارف الربانية لا يمكن للعقل أن يدرك معانيها وأسرارها الباطنية لأنها ذوقية والذوق محله القلب لا العقل ، وإذا علم المريد " قلبه عرف أنه البيت الذي يحسن فيه السّماع وهو المعبر عنه بالمكان الذي هو أحد شروط السّماع ، وعند ذلك يحصل له علم فيسمع الحقّ بالحقّ في بيت الحقّ ، وبالسماع وقع الخروج إلى الوجود من العدم " [4] فالقلب تجليّ نوراني به تزول الحجب فتدرك الحقائق ، وهذه المعرفة الذوقية وسيلتها الكشف والمشاهدة ومن ذاق كما قال ابن عربي " لذة الوهب لم يفرح بالكسب ولا يقدر على استعماله " [5] ، وتأكيد شيخ العارفين على أخذ العلم من الله مباشرة دليل على تميز المعرفة الصوفية

[1]- الزوبي ممدوح، معجم الصوفية ، دار الجيل ، بيروت ، ط1، 2004، ص73.
[2]- أومليل علي ،في التراث والتجاور ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط1، 1999، ص29.
[3]-ابن رشد ، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، تحقيق: محمد عمارة ، دار السلام ، القاهرة ، ط1، 2012، ص90.
[4]-ابن عربي محيي الدين ، التجليات ، تحقيق: عبد الرحيم مارديني ، دار المحبة ، دمشق ، ط1، 2003، ص139.
[5]-ابن عربي محيي الدين ، كتاب الشاهد ، رسائل ابن عربي ، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2 2010،ص206.

عن غيرها من المعارف التي تعتمد على العقل والحدس والحس وغيرهم لأن هذا العلم اللدنّي هو أشرف الصفات وأعظم الهبات التي يكرمها الله به عباده المتقين المخلصين.

ونجد أي مسألة في الخطاب الصوفي إلا وتقوم على ثنائية الظاهر والباطن " كالشريعة والحقيقة " و" الفناء والبقاء" و" الحضور والغياب " و" النبوة والولاية " إذ يكون أحدهما باطن الآخر ، والباطن هو المعنى الرمزي المستتر وهو لأهل الكشف ، أما الظاهر فهو للعلماء والأصوليين والكلاميين وغيرهم ، وهذا التجلّي الباطني الرمزي هو في حد ذاته يعد تأويلا يستخدمه الصوفية من أجل تحرير المعنى من السياقات المعرفية المألوفة من خلال لغة رمزية مجازية لها دلالات متعددة " فتوسعوا في أشكال التعبير التي سمحت بها اللغة وشكلوا نسقا خطابيا مختلف المكونات والظواهر النصية ، من شعر وقصص وأدعية ومناجيات وحكم وأخبار تنتظمها مجموعة من القوانين التي تحكم العلاقات والتفاعلات فيما بينها قصد بلوغ هدف معيّن هو التعبير عن تجربتهم في الاتصال بالله ، وهي تجربة معرفية عاطفية ، كما أنها تجربة في الكتابة والإبداع " [1] إذ التجربة الصوفية لم تقتصر على ممارسات روحية فقط ، بل ترجمت بفعل الكتابة إلى تأسيس خطاب عرفاني له قواعده وضوابطه ومنهجه الخاصّ به ، فهو إرث يتوارثه العارفون للتفاعل والتواصل فيما بينهم ، ولفتح فلسفة للحوار مع الآخر ليعمّ التعايش والسلم باسم الحب الذي هو مقام إلهي .

-قراءة المفكر ساعد خميسي[2] لمسالة تأويل القرآن الكريم عند محيي الدين بن عربي:

يعد المفكر الجزائري ساعد خميسي من الذين أولو أهمية كبيرة بكتابات محيي الدين بن عربي ، ولعل رحلته الفكرية الطويلة معه جعلته أكثر اختصاصا وتعمقا في تجربة الشيخ الأكبر ، إذ بعدما تطرق في أطروحته حول " الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي " عالج منزلة الحروف في فلسفته بعنوان " ابن عربي المسافر العائد " ، وكانت قراءة معاصرة لأفكاره العرفانية ، حيث انصب تحليله بربط التأويل بالرمز باعتبار أن اللغة الرمزية لا يمكن فكها إلا بالتأويل ، و نجد هذا المفكر قد ركز على اللغة وما تحمله من كلمات وحروف ومعاني أكثر من تركيزه على مصطلحات القرآن الكريم ومدى حظيها بتأويلات الصوفية ، إلا أننا لو تمعنا في تلك التحليلات التي قدمها قد نلمس جانبا بما يتعلق بالنص القرآني ، لأن التأويل في حد ذاته عند ابن عربي يعتمد على تلك الحروف

لقد أدرك ساعد خميسي أهمية اللغة في الخطاب الصوفي وما تأخذه من أشكال متعددة كالإشارة والحركة فكل مسألة في التصوف الإسلامي إلا ولها دلالات معيّنة حتى العيون لا تخلو من ذلك ثمّ " من التعبير اللغوي ما هو كذلك رمز بالنطق وبالسكوت وبالجهر وبالهمس ، بحروف وبكلمات ، بآيات قرآنية وبأشعار يحضر كل هذا ويتداخل لدى المتصوفة بالحال والمقام ، ويختلط لدى غير الصوفي بالغموض وبالهذيان بل وحتى بالكفر ،

[1]-بلعلي آمنة ، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1، 2010، ص22.
[2]-ساعد خميسي مفكر وباحث جزائري ، له دراسات عميقة حول ابن عربي ،وهو حاليا أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة قسنطينة2 .

ويتفاوت التعبير الصوفي لدى الصوفية بحسب مقاماتهم ودرجاتهم في العرفان " [1] وتأويل تلك العبارات والكلمات ضروري لفهم هذا الطريق وإلا لاختلط لدى الكثير مقاصدهم ، ولعلّ تلك الهجمات التي كانت من طرف الفقهاء والعلماء وحتى لرجال السلطة كافية للاستعانة بأداة التأويل من أجل تفكيك وتوضيح تلك المعاني المبهمة ، " وللحروف معانٍ وهي عوالم بمقامات ومراتب لها امتداداتها وإمداداتها قبل الحديث عن تأليفها للكلمات ثمّ الجمل فالنصوص ، فالجانب الإلهي فيها حاضر بكل قوة لأن الكلام صفة ألهية ، وخلق الله للعالم ما كان إلا بكلمة كن " [2] لقوله تعالى (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[3] فما أدركه ابن عربي أن العالم بأسره مفعم بالرموز ، وكل ما فيه يجب تأويله من جماد ونبات وحيوان ، حتى الإنسان الذي انطوى فيه العالم الأكبر ، وودوع هذه الأسرار الإلهية فيه تحتاج حسب ابن عربي إلى لغة تليق بمقامه ، والتعبير عنها يكون على علم ودراية بعلم الحروف الذي " يتنوع ويتعدد يركب ويفكك ليشكل اللسان الذي يترجم عن القلب ..حيث يعد اللسان الحامل للغة كمثل رسل الله إلى البشر إذا أتتمنهم على رسالاته وكتبه " [4] فمصدر اللغة على حسب ابن عربي إلهي وهو ما أثبته في الفتوحات المكية بقوله : " فالكلمات صادرة عن الحروف ، والحروف عن الهواء ، والهواء عن النفس الرحماني " [5] ومنشأ هذا العلم يعود إلى عيسى بدل آدم عليهما السلام لكون سيدنا عيسى خصه الله بالنفخ وهو منبع نشأة الحروف ، يقول ابن عربي : " ولهذا العلم (الرمز واللغة والإشارة) رجال كبير قدرهم من أسرارهم سر الأزل والحال والخيال والرؤيا والبرازخ ...ومن علومهم خواص العلم بالحروف والأسماء " [6] هو علم الباطن الذي لا يدرك بالعقل ولا بالنظر ، بل محله القلب أو البصيرة، ومن خُص بهذا العلم هم الأنبياء والأولياء وبعض العارفين ويُعِد ابن عربي نفسه منهم فما كتبه ما هو إلا إشارات ورموز لا يفهمها إلا الخواص.

وارتباط علم الحروف بالنص القرآني هو ما خصه المفكر ساعد خميسي في حديثه عن طبقات الحروف حيث ذكر كيف أن ابن عربي الذي اعتبر الوجود كله كلمات إلهية ، وفي القرآن الكريم إذ الحضرة الإلهية فيه أظهر ، فتفطن إلى الحروف المؤلفة لكلام الله فوجدها على حسب ما أملى عليه كشفه النوراني أنها ليست من طبقة واحدة ، بل هي " متفاضلة فيما بينها بحسب ورودها في القرآن في أوائل السور أو في أواخرها وفي بسم الله الرحمن الرحيم ، ذلك لأنه حسب ابن عربي للموجودات ترتيب وتفاضل من حيث الشرف فالموجود الذي ظهر أولا أشرف من الثاني ، ولكن هذه الأفضلية لا تتسلسل إلى آخر موجود ، لأن وضع موجود ما كآخر الموجودات قد يكون لحكمة إلهية تعلي من شأنه وشرفه " [7] وباعتبار أن الإنسان هو آخر موجود فلأنه "

---

[1]- خميسي ساعد ، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية ، أطروحة دكتوراه في الفلسفة ، إشراف الأستاذ عبد الرحمن التليلي جامعة قسنطينة ، 2005، 2006، ص70.
[2]-المرجع نفسه ، ص71.
[3]-سورة ياسين ، الآية : 82.
[4]- خميسي ساعد، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية ، المرجع نفسه ، ص73.
[5]-ابن عربي محيي الدين، الفتوحات المكية ، جزء 1، تحقيق: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2، 2006 ص257.
[6]-المصدر السابق، ص287.
[7]- خميسي ساعد ، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية ، المرجع السابق ، ص138.

الغرض من وجود سواه من مكونات العالم " [1] ، وهذا الضرب المثالي الذي خصه ابن عربي لم يكن إلا ليبيّن مدى التفاضل أيضا في حروف القرآن التي قسمها إلى طبقات واحدة للعامة وخمسة للخاصة ، حيث اقتصرت طبقة عامة الحروف على حروف معيّنة لم ترد لا في بداية السور ولا في آخرها وهي : الجيم والضاد والخاء والذال والغين والشين ، ويعتبر ابن عربي أن عامة الحروف ليس لها حظ من الاختصاص القرآني ، أما طبقة خواص الحروف فهي بدورها تنقسم إلى الخاصة وخاصة الخاصة والخلاصة وصفاء الخلاصة وعين صفاء الخلاصة ، ولعل هذا الترتيب والتفاضل يعود إلى درجة المعرفة بالله حيث تختص الطبقة الأولى في حروف السور المجهولة ، أو الحروف المقطعة التي في أوائل السور مثل (كهيعص) وهذه الحروف على حسب ما يذكرها ابن عربي في الفتوحات المكية : الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والحاء والقاف والنون ، فكل حرف يختلف باختلاف أحكام السورة وأحوالها ومنزلها ، وتأتي طبقة خاصة الخاصة ويخصها ابن عربي بالحروف التي وقعت في أول سور القرآن وطبقة الخلاصة فهذه الطبقة تفوق درجة من الطبقة التي قبلها لكون حروفها جاءت في خواتم سور القرآن ومن حروفها النون والميم والراء والباء والدال والزاي والألف والطاء واللام ، ويعتقد المفكر ساعد خميسي أن ترتيب هذه الحروف كان من خلال ترتيب المصحف للسور ، وليس بحسب نزول القرآن ، ويستعملها ابن عربي أيضا في تقسيمه للمقامات والأحوال التي هي عبارة عن سفر روحي يمر به الصوفي في طريقه ، وبعد هذه الطبقة تأتي طبقة صفاء الخلاصة وهي حروف بسم الله الرحمن الرحيم الواردة في سور القرآن ثمّ تليها طبقة عين صفاء الخلاصة وهي تختص بحرف واحد وهو الباء ، ومن خلال هذه التقسيمات التي ذكرها ابن عربي نلاحظ كيف انطلق من الكثرة وصولا إلى الوحدة ، ولتلك الحروف رموزا خاصة ، إذ جعل هذا الشيخ يخصص لكل حرف كتابا خاصا بمّا يدل على أهميتها في الخطاب الصوفي .

وعلاقة هذه الحروف بالنص القرآني لها دلالة عرفانية وهذا ماحلله المفكر ساعد خميسي في أطروحته فمثلا حرف الباء يعطي معنى الإلصاق لدى اللغويين كقول " مررت بالمسجد أي ألصقت به " في حين نجد ابن عربي يعطي لها أكثر من معنى صوفيّ[2] (الحق ، الحقيقة المحمدية ، النور) والنور انطلاقا من تأويله للآية القرآنية (ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ)[3] ، يقول ابن عربي : " معنى الإلصاق هو أن تلصق الأثر بالذي يشبه وجه الأثر ، فيقول مررت بالمسجد فألصقت مرورك بالمسجد ، كذلك يقول ذهب الله بنورهم ، فألصق الذهاب بالنور والنور هو الباء الذي هو نور السموات والأرض ، لأنه الحق الذي قام ، ومعنى قام ظهر في عينه وثبت ، ولهذا كنى عنه بالنور لظهوره ، فلما كان فيه هذا الإلصاق المعقول المعنوي لهذا سمي بالباء لأن الباء تعطي الإلصاق " [4] ، " فالباء في نظر ابن عربي اسم للحق ، واسم للحقيقة المعقولة ومن ثمة مساواة بين ظهور الأشياء بالحق ، وظهور

---

[1]-المرجع نفسه ، ص139.
[2]- خميسي ساعد ، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية ، المرجع السابق ، ص169.
[3]-سورة البقرة ، الآية : 17.
[4]-ابن عربي محيي الدين ، كتاب الباء ، المطبعة المنيرية ، القاهرة ، ط1، 1954، ص10.

جامعة زيان عاشور- الجلفة
مخبر المصطلح و المخطوط و الأدب
الجزائري المكتوب في الصحافة

المراد

دورية علمية دولية محكمة

تعنى ببحوث اللغة و الأدب و التربية و الفكر

العدد : 09
المجلد الأول
جوان 2017

ISSN 2335-1160

رقم الإيداع القانوني : 2013-6547